فالعلاقات الدبلوماسية لدى دولة الأمويين في الأندلس
(١٣٨-٨٩٧ هـ/٧٥٥-١٤٩١ م)

د. سفيان عثمان المقرمي

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المشارك، كلية الآداب جامعة إب.

ملخص البحث :

تسعى هذه الدراسة إلى تأصيل النظام الدبلوماسي العربي الإسلامي – مدة موضوع الدراسة –وإبراز عراقة هذا النظام كونه تعبيراً حياً عن حيوية الحضارة العربية الإسلامية وقابليتها للتطور على نحو يخدم الإنسانية على مر العصور والأزمات والأمكنة .

وإذا كانت الثقافة التاريخية مهمة للأشخاص الاعتياديين ، فهي أكثر أهمية وخطورة بالنسبة لرجال السلك الدبلوماسي الذين ينتظر منهم أن يمثلوا بلدهم بكل ما فيه من أطر فكرية وحضارية في سبيل إغناء الثقافة الذاتية بالموروث الحضاري .

كما ألمحت الدراسة إلى مواصفات المبعوث أو السفير الذي يتولى هذه الوظيفة وأغراض السفارة التي تتنوع من مجد تسليم رسالة أو إرسال مبعوث إلى أغراض أخرى مثل : التهنئة والتعزية والتجسس وغيرها من الأغراض التي أوردناه في ثنايا هذه الدراسة والتي تلقي ضوءاً كاشفاً على طبيعة التقاليد والرسوم الدبلوماسية في العصور الوسطى ، يصح في بعض الأحيان – من حيث المبدأ – أن يكون منطلقاً للدبلوماسية المعاصرة علاوة على أن هذه النماذج . للدبلوماسية العربية الإسلامية التي وردت في هذه الدراسة في الغرب الإسلامي تعبر بوضوح عن مدى مستوى التمدن الرفيع الذي بلغته حضارتنا العربية الإسلامية في الربوع الأندلسية الجميلة – مدة موضوع الدراسة .

تذهب مدلول كلمة الأندلس من الناحية الجغرافية وبيان حدودها ، وكذا وضع الأندلس منذ الفتح الإسلامي لها عام ٩٢هـ / ٧١١م والظروف والتقلبات السياسية التي مرت بها مثل :

فترة الولادة : وتبدأ منذ الفتح ٩٢هـ وهو تاريخ وصول عبد الرحمن الداخل .

فترة الإمارة من ١٣٨ – ٣١٦ هـ فترة الخلافة من ٣١٦ – ٤٠٠هـ فترة ملوك الطوائف حتى ٤٨٤ هـ

فترة المرابطين ثم الموحدين حتى ٦٣٠هـ وأخيراً : دولة غرناطة التي سقطت عام ٨٩٧هـ / ١٤٩١م

كما خلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج والتوصيات أوردناها في خاتمة هذا البحث، وكذا قائمة بأسماء المصادر والمراجع التي رجعنا إليها في إعداد هذا البحث ، والذي نأمل أن يكون قد حقق الهدف الذي وضع من أجله .

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد أكرم مرسل وأطهر منسل. وبعد :

تهدف هذه الدراسة إلى إغناء الثقافة الذاتية بالموروث الحضاري ، فإذا كانت الثقافة التاريخية مهمة للأشخاص العاديين ، فهي أكثر أهمية وخطورة بالنسبة لرجال السلك الدبلوماسي الذي ينتظر منهم أن يمثلوا بلدهم بكل ما فيه من أطر فكرية ، وحضارية ؛ كون التمثيل الدبلوماسي – في المدة موضوع الدراسة – لم يعد عفوياً ، أو عبارة عن تسليم رسالة أو إرسال مبعوث ، أو تمثيل دائم ، أو سفارة متجولة ، بل أصبح يشمل مختلف الفعاليات الدبلوماسية التي يستلزمها العمل الدبلوماسي تحقيقا لجملة من الأغراض من مثل : التجسس ، التجارة ، الهدنة ، والصلح ، التهنئة والتعزية ، المصاهرة ، حمل الهدايا ، التحالفات....الخ. والتي تتطلب مواصفات دقيقة في السفير أو المبعوث كما سيأتي.

وإذا كان معنى الدبلوماسية هو توجيه العلاقات الدولية عن طريق المفاوضات ، والأسلوب الذي يدير به السفير أو المبعوث هذه العلاقات ، كما أطلقت على عمل الرجل الدبلوماسي أو فنه. كما جاء في المعاجم اللغوية[١] فإن الرسول هو الذي يرسل في رسالة[٢] ، والرسول هو الذي يرسله الملوك سفيراً بينهم[٣]. في حين أن السفير، وجمعه سفراء هو الذي يرسل للإصلاح بين القوم ، ويسفر سفارة ، أي يصلح إصلاحا ، وقد ورد ذلك في قوله تعالى : "بأيدي سفرة كرام برررة..."[٤] ، والمقصود بالسفرة هنا الملائكة الذين يسفرون بالوحي بين الله ورسله ، مأخوذة من السفارة وهي السعي بين القوم[٥].

مواصفات السفير أو المبعوث:

لما كان السفير أو المبعوث أو الرسول يمثل الدولة ، فهو يتكلم باسمها ، ويبرم المعاهدات والاتفاقيات نيابة عنها ، لذا أصبح من الضروري أن تتوفر جملة من المواصفات الحضارية والسياسية لمن يصلح للسفارة ، بحيث تتناسب وأهمية هذا المنصب.

وتشير المصادر ذات الصلة بهذا الموضوع[٦] إلى مواصفات السفراء ، وما يجب أن يتحلوا به من خصائص ومميزات تؤهلهم – دون غيرهم – للقيام بمهام معينة ؛ ونستخلص بعضا من ذلك بما يأتي وبإيجاز :

- **الوقار وثبات العقل**: ويشمل ثبات العقل التجربة الغنية، والمعرفة بالتقاليد المرعية، كما يشمل أيضا المعرفة بلغة القوم الذين يذهب سفيرا بين ظهرانيهم، ويشمل أيضا حدة الذكاء وإلمام السفير بقسط من علوم عصره. وكان السفراء في الحقبة موضوع الدراسة ملمين ببعض الفرائض والسنن والأحكام وغيرها.
- **الصبر**: وهو الحبس والتجلد وحسن الاحتمال، وهي صفة مهمة على السفير أن يتحلى بها، لأن مهامه ليست باليسيرة وتتطلب منه الصبر في المواقف التي ينبغي له ألا يفرط فيها بحقوق من يقوم بتمثيله، وقد يوضع في إطار وضعيات حرجة، أو يتعرض لاستفزازات مقصودة، وهنا يتطلب منه أن تكون ردود فعله موزونة، وتتحلى بالصبر والتروي.(٧).
- **أن يكون ذا خلق كريم وخلقة مقبولة**، ناهيك عن السمات النفسية والعقلية، وهذا لا يتناقض ومبدأ الإسلام في المساواة بين الناس في اشتراط سمة المظهر، لأن الأمر هنا يتعلق بالأوضاع الوظيفية ومقتضياتها، وطبقا للقاعدة الإدارية التي تقتضي وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.
- كما يستحب في السفير أن يكون وسيما قسيما، تمام القد، عبالة الجسم، حتى لا يكون قميئا؛ وإن كان المرء بأصغريه لسانه وقلبه، ولكن الصورة تسبق اللسان، والجثمان يستر الجنان(٨). وكون مظهر المرء يؤثر فيمن يراه الناس، بحيث إن كان مظهره مقبولا كان بداية طيبة لتقبل ما يعرض، ولتحقيق ما يستهدف. أما إذا كان مظهره غير ذلك فقد يكون بداية الاخفاق. وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: "إذا أبردتم إليَّ بريداً فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم"(٩).
- **أن يكون كريم المحتد ومن ذوي الأقدار والأحساب**: لأن في الحسب الأصيل حصانة من الزلل الشخصي، ولأن مَنْ تربى في الأسر الكريمة يقدر الأمور حق قدرها.
- **الأمانة، الصدق، الشجاعة**: وهي صفات متلازمة حتى لا يقع نهباً للتردد. بالإضافة إلى الفصاحة.
- وليس شرطا أن تكون مواصفات السفراء بالكيفية التي سلسلت فيما سبق، وإنما هناك مرونة في تغليب بعض الصفات عن البعض الآخر وذلك بحسب ما تقتضيه طبيعة المهمة الموكلة إلى السفير أو المبعوث.

وقبل الولوج في موضوع العلاقات الدبلوماسية للدولة الأموية في الأندلس يجدر بنا إعطاء لمحة

جغرافية – سياسية عن الأندلس "أسبانيا الإسلامية" في الحقبة التي نحن بصدد دراستها.

فمدلول كلمة "الأندلس" جغرافيا هو كل ما كان تحت حكم المسلمين من شبه الجزيرة الأيبيرية. فلو تصورنا خطاً أفقيا من أقصى شمال البرتغال عند نهر دويره يسير مرتفعاً إلى الشمال، ثم ينزل إلى الشرق، حتى جنوب برشلونة على البحر المتوسط شمال مدينة طركونة، فما فوق هذا الخط يمثل أسبانيا الشمالية (المسيحية)، وما يقع تحته حتى مضيق جبل طارق يمثل "الأندلس" أو أسبانيا الإسلامية. وليس الأندلس هو المنطقة الجنوبية من أسبانيا أو شبه الجزيرة الإيبيرية. وأن كلمة (أندلسيا) الأسبانية الحالية تشمل جنوب أسبانيا في التقسيم الإداري للدولة الأسبانية؛ ويخلط البعض بجعل الأندلس في المفهوم التاريخي الإسلامي: جنوب أسبانيا فقط؛ فإصلاح الأندلس يشمل كل البرتغال الحالية تقريبا وأكثر أسبانيا.[10]، تنظر الخارطة التالية :

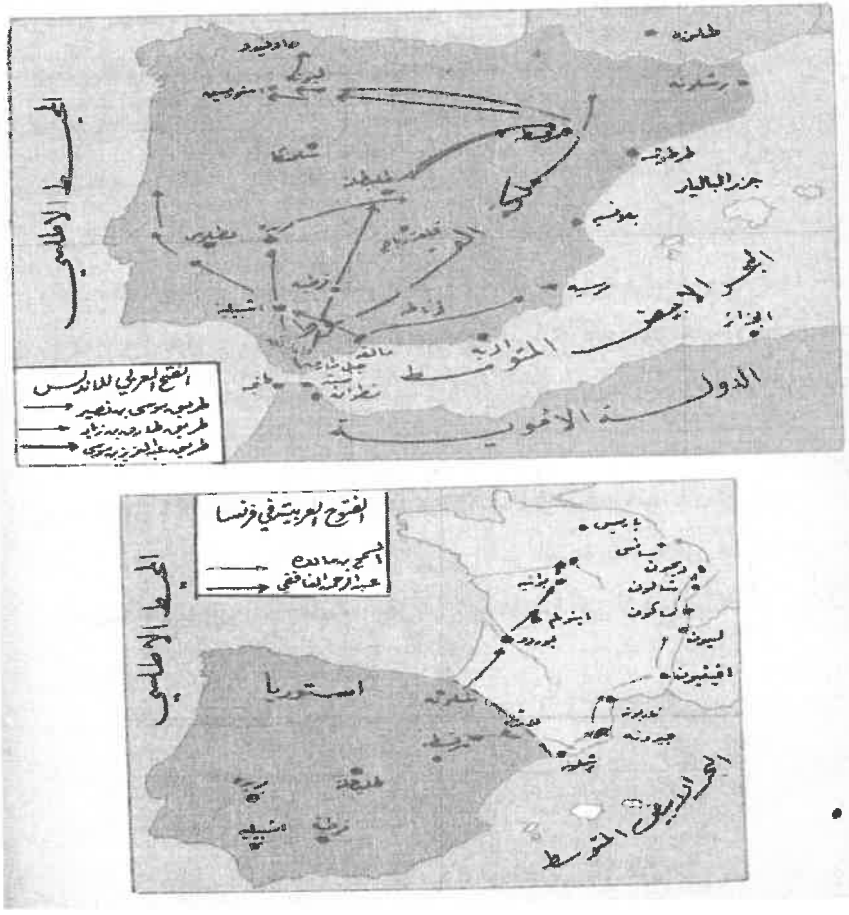

أما من الناحية السياسية

فقد كان الفتح الإسلامي للأندلس (أسبانيا الإسلامية) بقيادة طارق بن زياد في عام ٩٢هـ/٧١١م، حين عبر المضيق وتجمع جيشه في الجبل الذي سمي باسمه، ولا يزال كذلك وبكل لغات العالم، ولعل ذلك خير مكافأة لهذا البطل المسلم، ثم فتح موسى بن نصير كل شبه الجزيرة الإيبيرية تقريباً في أربع سنوات، وبقي الإسلام في تلك البلاد قرابة ثمانية قرون (٩٢- ٨٩٧هـ/٧١١- ١٤٩١م). وقد مرت الأندلس خلال قرونها الثمانية بأحداث كثيرة وعصور عديدة، وتقلبت بين الضعف والقوة، القوة التي أخضعت كل الأعداد، وجعلت كل دول العالم وحكامها تبعث بسفرائها إلى قرطبة تطلب ود خلافتها وتحرص على صداقتها، والضعف المهين الذي جعل المسلمين العرب في الأندلس أيام ملوك الطوائف يستعين بعضهم على بعض بملوك أسبانيا الشمالية (المسيحية)[١١].

ويقسم المؤرخون تاريخ الأندلس وفقاً للأوضاع التي مرت فيها والتقلبات التي تمت إلى الفترات الآتية:

١- **فترة الولاة:** وتبدأ منذ الفتح الإسلامي للأندلس حتى مجيئ عبدالرحمن الداخل[١٢] في عام ١٣٨هـ/٧٥٥م. ودام حكمهم للأندلس حوالي أربعين سنة، تعاقب عليها عشرون والياً.

٢- **فترة الإمارة:** وتمتد من عام ١٣٨هـ/٧٥٥م حتى قيام الخلافة الأموية في الأندلس على يد الخليفة العظيم عبدالرحمن الناصر عام ٣١٦هـ/ ٩٢٩م.

٣- **فترة الخلافة:** وتمتد من ٣١٦هـ/٩٢٩م حتى سقوط الدولة العامرية بحدود عام ٤٠٠هـ/١٠٠٩م.

٤- **فترة ملوك الطوائف:** وتمتد حتى قيام دولة المرابطين في الأندلس عام ٤٨٤هـ/١٠٩١م.

٥- **فترة المرابطين ثم الموحدين** في الأندلس والتي تنتهي بقيام دولة غرناطة عام ٦٣٠/١٢٣٣ م ينظر الخريطة :

٦- **دولة غرناطة** التي سقطت على يد الملكيين الكاثوليكيين (فردناند ملك أراغون وإيزا بيلا ملكة قشتالة وليون) في عام ٨٩٧هـ/١٤٩١م.

وبسقوط غرناطة ينتهي حكم الإسلام في شبه الجزيرة الإيبيرية.(١٣)

صور من الدبلوماسية الأندلسية:

للأندلس رنين طرب في آذان المسلمين وقلوبهم، يصاحبه أسى الذكرى على فقدانها، وقد يتعدى هذا الرنين إلى كل من تربطه بهذا التاريخ البهي رابطة من غير المسلمين.

أقام العرب المسلمون في الأندلس قرابة ثمانية قرون (٩٢- ٨٩٧/٧١١- ١٤٩١م) وصلت حضارتهم فيها إلى أعلى مستوى وصلته الحضارة الإسلامية في أي مكان، بل وربما أربت عليه.

وكان عصر قرطبة عاصمة الخلافة الأموية في الأندلس هو قمة هذه الحضارة التي أسهمت في تطور الإنسان، وعلى قواعد منها قامت حضارة العالم اليوم.

وإذا كانت الدبلوماسية تزدهر بإزدهار الحضارة وتمكن الاستقرار والتقدم فقد كان الأندلس مقصداً للسفارات القادمة إليه من الأقطار الأخرى، طالبة صداقته والاستفادة مما عنده، يتلو ذلك توجه السفراء منه إلى تلك الأقطار أو بعضها.[١٤]

وبناءً على ما سبق فقد ازدهرت العلاقات الدبلوماسية وبخاصة في بلاط قرطبة، وظهر التمثيل الدبلوماسي الدائم بين الأندلس والشمال الأسباني.

وفي عهد عبدالرحمن الأوسط[١٥] (٢٠٦- ٨٢٢/٢٣٨- ٨٥٢) تبوأت الدولة الأموية في الأندلس مكانة مرموقة من الهيبة والنفوذ بين مختلف الحكومات النصرانية، وصارت مركز التوجيه للدبلوماسية الإسلامية في الغرب.

وكانت الدولة البيزنطية وعاصمتها القسطنطينية في حالة حرب مع الدولة العباسية في الشرق، وكانت تعتقد أنها تستطيع بتفاهمها مع حكومة قرطبة الإسلامية في الأندلس أن تحقق نتائج عملية في مقاومة الدولة العباسية. وتشير المصادر إلى أنه في عام ٨٤٠/٢٢٥م وفد على قرطبة سفير من قيصر القسطنطينية الامبراطور ثيوفيلوس يدعى قرطيوس ومعه كتاب وهدية فخمة، فاستقبله عبدالرحمن الأوسط بحفاوة، وكان القيصر يشير إلى الصداقة القديمة بين الخلفاء الأمويين الأوائل وقياصرة بيزنطة، ويشكو من فعال الخليفة العباسي المأمون وأخيه المعتصم ويسميهما باسمي أميهما في كتابه فيقول: ابن مراجل وإبن ماردة،[١٦] تحقيرا وإزدراء منه، كما يشكو إليه من استيلاء أبي حفص البلوطي وعصبته الأندلسية على جزيرة قريطش (كريت) وهي من أملاكه، ويطلب منه عقد المودة والصداقة بينهما ضد عدوهما المشترك الدولة العباسية، ويرغبه بملك أجداده في المشرق ويستنهض همته لاسترداده، ويتنبأ له بقرب إنهيار الدولة العباسية وزوال سلطانها، كما يعده بنصرة ذلك المشروع.[١٧]

وقد رد عبدالرحمن الأوسط الأمير الأموي في الأندلس على سفارة القيصر ثيوفيلوس بمثلها، وأوفد كاتبه وصديقه الشاعر يحيى الغزال[١٨] سفيرا إلى القسطنطينية وبصحبته يحيى بن حبيب المعروف بالمنيقلة بكتاب وهدية إلى الأمبراطور، وسار الغزال مع السفير البيزنطي إلى المشرق في رحلة شاقة، واستقبل الأمبراطور السفير الأندلسي بحفاوة بالغة، وقدم له الكتاب وهدية الأمير عبدالرحمن الثاني (الأوسط) ومما جاء في الكتاب:

"... وأمَّا ما ذكرت من أمر الخبيث ابن ماردة، .. وذكرته من تقارب إنقطاع دولته ودولة أهله، وزاول سلطانهم... إلى أن يقول.. وما لم نزل نسمع ونعترف أن النقمة تنزل بهم، والدائرة تحل عليهم،

....، ونستأصل شأفتهم إن شاء الله تعالى..."[١٩].

وقد وفق السفير يحيى الغزالي في أداء مهمته، ونجح في توثيق العلاقة بين الأمبراطور والأمير عبدالرحمن الأوسط، كما سحر البلاط البيزنطي بقوة شخصيته وصفاته ومنها ذكاؤه وسرعة بديهيته وظرفه، وهذه صفات مهمة في السفير أو المبعوث، كما تقدم بيان ذلك.

وعاد الوفد إلى قرطبة بعد رحلة دامت عدة أشهر وهو يحمل انطباعات مهمة عن البلاط البيزنطي.

وأوفد الغزال في سفارة أخرى إلى الدينمارك[٢٠]، وتعد هذه السفارة الأندلسية، إلى بلاد من أطرف ما عرفته الدبلوماسية في تاريخ العصور الوسطى، ولم يرد خبر هذه السفارة إلا في مصدر واحد من مصادر هذه الدراسة وهو كتاب: المطرب من أشعار أهل المغرب[٢١].

وسبب هذه السفارة عندما هاجم النورمان أو الفايكنج[٢٢] وهم سكان البلاد الاسكندنافية في خريف عام ٢٢٩/٨٤٤م أيام الأمير عبدالرحمن الثاني "الأوسط"، هاجم هؤلاء السواحل الأندلسية الغربية، واقتحموا أشبيلية، لكنهم طردوا منها، وانتهت هذه العملية الحربية بعملية سلام وتبادل للسفراء إذ أرسل ملك الدينمارك رسله إلى الأمير عبدالرحمن الثاني في طلب المهادنة والصلح، فأجابه الأمير عبدالرحمن إلى طلبه، وبعث سفيره يحيى الغزال مع الرسل إلى ملكهم متجاوباً مع سفارته ومعلنا لقبوله الصلح.

وعلى الرغم من الأخطار والأهوال التي واجهت هذه السفارة أثناء مسيرتها البحرية حيث عصفت بهم ريح شديدة وصفها الغزال بشعره وهو يخاطب صديقه ورفيق رحلته واسمه يحيى أيضاً[٢٣] إلا أن هذه السفارة وصلت إلى الدينمارك واستقبلهم الملك واندهشوا من الأزياء الأندلسية التي كان يرتديها أعضاء الوفد، وبعد أيام استراحة أعدت مراسيم الاستقبال، وكان من جملة هذه المراسم إنحناء السفير ومن معه عند دخولهم على ملك النورمان. لكن الغزال اشترط أن لا يركع أحد منهم لأن هذا لا يجوز إلا لله تعالى وحده؛ فاستجاب النورمان لهذا الشرط، لكنهم احتالوا بطريقة حاولوا بها حمل الغزال ومن معه من أعضاء وفده على الركوع أو الانحناء من غير أن يشعر، إذ وضعوا مدخلا ضيقا منخفضا لا يمكن لأحد الدخول منه إلا منحنيا.

لكن الغزال، المعروف بذكائه ما إن وصل إلى المدخل حتى جلس إلى الأرض وقدم رجليه مواجهها بهما صدر المجلس وزحف حتى جازه، ثم استوى واقفا وكذلك فعل أعضاء الوفد. وقد تهيأ لهم الملك في أحسن هيئة، واحتفل بالزينة والأبهة البالغة، والجند المسلحين إظهارا للقوة والمنعة.[٢٤]

واستهل الغزال لقاءه مع الملك بكلمة ترجمها سفيره، فوصف الملك الغزال بأنه حكيم من حكماء

القوم وداهية من دهاتهم، وأنهم أرادوا إذلاله فقابل وجوههم بنعليه، ولولا أنه رسول لأنكروا عليه ذلك.(٢٥)

وسلم السفير يحيى الغزال رسالة الأمير عبدالرحمن الثاني إلى الأمبراطور فقرئت عليه فاستحسنها ووضعها في حجره تقديرا له. ثم قدمت الهدايا التي أعجب بها الأمبراطور وبمحتوياتها من الثياب والأواني الأندلسية ذات الفن الرفيع.

وبعد أن قضى الوفد الأندلسي حوالي السنة في الدنمارك، وكانت للغزال معه مناظرات ومجالس مشهودة، ناقش فيها العلماء، ونازل الفرسان فغلبهم، ولعله ألقى بعض المحاضرات تناول فيها الحديث عن الإسلام وتاريخه.(٢٦)

واستقبلته الملكة "نود" ملكة النورمان فراعه حسنها، ونظم في حسنها شعرا رقيقا. منه:

إني تعلقت مجوسية : تأبى لشمس الحسن أن تغربا.

أقصى بلاد الله بي حيث لا : يلقى إليه ذاهب مذهبا.

يا نود يا روض الشباب التي : تطلع من أزرارها الكوكبا(٢٧)

ثم عاد الوفد إلى الأندلس بعد أن حقق مهمته الدبلوماسية بنجاح، ويحمل كتاباً من ملك النورمان إلى ملك جليقية وليون للسماح له ولمن معه من أعضاء الوفد بالجواز واختراق المملكة النصرانية في شمال الأندلس للوصول إلى طليطلة ثم إلى قرطبة.

وكانت هذه الرسالة من ملك الدنمارك أشبه بجواز السفر في وقتنا الحاضر.

وهكذا: كانت هذه السفارة الأندلسية أحد أوجه النشاط الدبلوماسي في تاريخنا الإسلامي، وهو النشاط الذي يعبر بوضوح أمين عن مدى مستوى التمدن الرفيع الذي بلغته حضارتنا العربية الإسلامية في الربوع الأندلسية الجميلة.

وفي القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي ازدهرت الدبلوماسية في الأندلس، وماج بلاط قرطبة – في فترات كثيرة – بالسفراء من الشرق والغرب، خاصة خلال حكم عبدالرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر (٣٠٠- ٩١٢/٣٦٦- ٩٧٦م) ويوجز لنا مؤرخ الأندلس ابن حيان القرطبي ذلك في حديثه عن الناصر (ت٣٥٠/٩٦١م) بقوله:

"إن ملك الناصر بالأندلس كان في غاية الضخامة ورفعة الشأن، وهادنه الروم وإزدلفت إليه تطلب مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر، ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والإفرنجة والمجوس وسائر الأمم إلا وفدت عليه خاضعة راغبة وانصرفت عنه راضية..."(٢٨)

ومن النماذج للسفارات الوافدة إلى الأندلس في عهد الخليفة الأموي عبدالرحمن الناصر، تلك السفارة الألمانية التي أرسلها الأمبراطور (أوتو الأول الكبير) حوالي عام ٣٤٢/٩٥٣م.

وتسمي المصادر الإسلامية الألمان بـ"الصقالبة"[٢٩]. وكان هدف السفارة هذه الطلب من قرطبة استعمال سلطتها لإيقاف خطر محدق نشأ فيما وراء جبال البرتات، وكان ذلك الخطر قادما من دويلة أنشأها عدد من المغامرين الأندلسيين في منطقة البروفانس شمال مدينة طولون التي استمرت حوالي تسعين سنة.

واعتقد الأمبراطور الألماني أن تبعية هذه الدولة كانت لخلافة قرطبة الإسلامية، فأراد أن يتوسط الخليفة الأموي الناصر لإيقاف هجماتهم وغاراتهم المتكررة، فبعث بسفرائه إلى قرطبة لهذا الغرض. وغادرت هذه البعثة الدبلوماسية الألمانية ألمانيا براً عبر فرنسا حتى مرسيليا، ثم سارت إلى برشلونة، ومنها كتبوا إلى والي أقرب مدينة أندلسية وهي مدينة طرطوشة يخبرونه بقدومهم، فأجابهم الوالي إلى طلبهم وأكرم وفادتهم، وأخبر الخليفة فصدر أمر بتسهيل سفرهم، وأن يتم استقبالهم في المدن الأندلسية التي يمرون فيها أثناء طريقهم إلى قرطبة.[٣٠]

كانت هذه البعثة برئاسة يوحنا الغور زيني الذي حمل رسالة الأمبراطور إلى الخليفة ومعه الهدايا المناسبة.

ولما وصل الوفد إلى قرطبة استقبلهم الخليفة الناصر أحسن استقبال، وأنزلهم قصرا مجهزا بوسائل الراحة، وكان ذلك القصر معداً لاستقبال مثل هذه البعثات على ما يبدو، وكان يطلق عليه "منية الناعورة" ويقع جنوب غربي قرطبة.[٣١]

وبعد أن أخذت البعثة قسطا من الراحة، عُيّن يوم لمقابلة الخليفة، وفي غضون ذلك عرف المكلفون بإعداد الترتيبات للمقابلة فحوى الرسالة وهدف البعثة، وأن لهجتها كانت شديدة.

فقرر الخليفة مقابلة البعثة بدون تلك الرسالة التي يبدو أنها تضمنت طرح مسائل دينية لم يكن بوسع الخليفة قبولها.

ولما ألح رئيس الوفد الألماني في طلب المقابلة والمحادثة أجاب الناصر أنه سبق أن أرسل رسولاً إلى الإمبراطور الألماني وهذا الرسول هو أسقفاً من رعاياه فاعتقله الأمبراطور لمدة ثلاثة أعوام، وأنه سيعتقل المبعوث الألماني أضعاف هذه المدة لأنه أرفع شأناً ومقاماً من ملك النصرانية.[٣٢]

وبعد حوار تقرر أن يرسل الخليفة الناصر إلى الإمبراطور (أوتو) رسولا يستوثق من نواياه نحوه، وأن يبقي المبعوث الألماني يوحنا الغورزيني معتقلا حتى يعود السفير.

فبعث الخليفة وفدا برئاسة الأسقف (ريثموند) الذي تسميه المصادر العربية ربيع بن زيد، وكان عالما متمكنا ويشغل في البلاط الأندلسي منصبا مهما، كما كان يجيد اللغتين العربية واللاتينية فتوجه سفير الخليفة إلى الأمبراطور الذي استقبله بحفاوة وترحاب، وأبدى قبولا لوجهات نظر الخليفة بسبب ما كان يحيط به من ظروف داخلية جراء ثورة ابنه عليه.(٣٣)

وعند عودة مبعوث الخليفة الناصر من سفارته هذه بعد مضي سنتين من ابتعاثه اطمأن الخليفة الناصر لنتائج سفارته وأذن حينئذ بمقابلة يوحنا الفورزيني مبعوث الأمراطور، فاستقبله في قصر قرطبة في أجواء احتفالية ضخمة أظهرت روعة البلاط الأموي.(٣٤)

وكانت النتيجة لتبادل السفراء بين الخليفة والأمبراطور أن أعربت قرطبة بأنها لا تتحمل تبعة أعمال تلك الدويلة التي أنشأها أولئك المغامرون الأندلسيون، ولا تستطيع التدخل بشؤونها، ولا حتى أن تسدي نصائح لأولئك المغامرين الخارجين عن طاعتها.

وهذا مجرد استنتاج يؤيده صمت المصادر العربية عن نتائج هذه السفارة؛ أما المصادر الكنسية فهي تؤكد أن الخليفة الأموي الناصر كان يحمي هذه الدويلة ويمدها بالعون والتشجيع.(٣٥)

ومهما يكن من أمر فإن النموذج المذكور من الصلات الدبلوماسية يبين جانبا من تاريخ العلاقات الدولية التي جرت بين زعيمين يمثل أحدهما الجانب النصراني ويمثل الآخر الجانب الإسلامي، كما أن هذه السفارة وأمثالها تلقي الضوء على التقاليد الدبلوماسية التي كانت سائدة في ذلك العصر وليس في الأندلس وحده، ولكن في تلك الدول التي تبادلت وإياه النشاط الدبلوماسي.

وفي سنة ٩٥٥/٣٤٤ تلقى الناصر سفارة من ملك ليون يرجوه من خلالها عقد السلام والمودة، فأجابه إلى طلبه، وأرسل في السنة التالية لهذا العام أحد سفرائه إلى ليون فعقدت معاهدة بين الطرفين وتم التوقيع عليها.(٣٦)

وفي سنة ٩٥٨/٣٤٧ وفدت ملكة نافار بنفسها إلى قرطبة صحبة ولدها وأمير ليون، وطائفة من الأحبار وعظماء النصارى فاستقبلهم الناصر في قصره بالزاهرة استقبالا حافلا وعقد معها السلم.

كما وفدت على الناصر رسل البابا يوحنا الثاني عشر طلبا للسلام والمودة.(٣٧) ومن أهم السفارات التي وفدت إلى قرطبة في عهد الخليفة الناصر تلك التي كانت من أمبراطور الروم في القسطنطينية (استانبول) قسطنطين السابع بن ليون الأرجواني عام ٩٤٧/٣٣٦ ومعها أنفس الهدايا ومنها كتابان، أحدهما لديسقوريدس عن الحشائش والمركبات والأدوية مكتوب باللغة اليونانية "الأغريقية" والثاني كتاب أورسيوس الذي يحوي تاريخ العالم من لدن آدم عليه السلام حتى عام

٤١٦م.[٣٨]

وأخرج الناصر كبار رجال دولته لاستقبال سفارة الأمبراطور البيزنطي التي كانت تحمل رسالة الأمبراطور مكتوبة باللغة اليونانية، وعليها طابع ذهب وصورة المسيح عليه السلام مع هدايا أخرى نفيسة، وأقيم لها إحتفال عظيم في قاعة المجلس الزاهر بقصر قرطبة؛ وكان جاري العادة في مثل هذه المناسبات أن يقوم الخطباء والأدباء والشعراء بإلقاء كلمات وقصائد مناسبة، يرحبون فيها بالوفد، ويعظمون من شأن الإسلام والخلافة.

وتقرر في هذه المناسبة أن يقوم الفقيه محمد بن عبدالبر بإلقاء الخطبة، وكان معروفا بأنه صاحب قدرة عظيمة في الكلام. وهنا يحدث ما ليس في الحسبان:

إذ وقف الفقيه ابن عبدالبر ليلقي كلمته، ولكن بهرته أبهة الموقف وجلال المقام، فارتج عليه القول فما اهتدى إلى عبارة ولا انبس ببنت شفه، بل غشي عليه وسقط من طوله على الأرض وأصبح الموقف حرجا للغاية.

وكان بين الحاضرين الأديب اللغوي وافد العراق، صاحب كتاب الأمالي المعروف بأبي علي القالي[٣٩] فتوجهت الأنظار إليه لينقذ الموقف، وفعلا قام القالي: فحمد الله وأثنى عليه، ثم توقف! وزاد الموقف حراجةً، انقطع القول بأبي علي القالي ووقف واجما مفكرا في كلام يتم به خطبته، فلم يهتد إلى مقاله.

وهنا يظهر رجل الموقف متطوعا من ذاته ودون تحضير ذلكم هو قاضي الجماعة بقرطبة منذر بن سعيد البلوطي الذي ابتدأ حيث انتهى القالي بكلام عجيب كأنما كان يحفظه قبل ذلك وبهذا الموقف حاز القاضي المنذر بن سعيد إعجاب الحاضرين ودهشتهم، وكان الخليفة الناصر أشد إعجابا به.[٤٠]

ومنذ ئذ علت منزلته لدى الناصر ولدى ابنه الحكم المستنصر بعد ذلك، ثم عاد سفراء بيزنطة مكرمين إلى بلادهم، بعد أن حققت سفارتهم ما يرجى منها من عقد معاهدة صداقة وسلام مع قرطبة.

وقد وردت إلينا معلومات مهمة عن علاقات ملوك الطوائف في الأندلس بالممالك الأسبانية، ومنها علاقة مملكة سرقسطة وأشبيلية وبلنسية وغرناطة وطليطلة وغيرها.[٤١]

ولا شك أن تبادل الوفود والسفارات على النحو الذي قدمناه يلقي ضوءاً على طبيعة التقاليد والرسوم الدبلوماسية في العصور الوسطى يصح في بعض الأحيان — من حيث المبادئ — أن يكون منطلقاً للدبلوماسية المعاصرة.

خاتمة البحث

نأمل أن تكون هذه الدراسة قد حققت الهدف الذي من أجله أعدت وهو:

إغناء الثقافة الذاتية بالموروث الحضاري، وكون الثقافة التاريخية مهمة للأشخاص الاعتياديين، فهي أكثر أهمية وخطورة لرجال السلك الدبلوماسي الذي ينتظر منهم أن يمثلوا بلدهم بكل ما فيه من أطر فكرية وحضارية، ولأن التمثيل الدبلوماسي – في المدة موضوع الدراسة – لم يعد عفويا أي مجرد تسليم رسالة أو إرسال مبعوث، بل أصبح يشمل مختلف الفعاليات الدبلوماسية التي يستلزمها العمل الدبلوماسي تحقيقا لجملة من الأغراض، والتي تتطلب مواصفات دقيقة في السفير أو المبعوث كما بينا.

ومما لا شك فيه أن تبادل الوفود والسفارات على النحو الذي قدمناه يلقي ضوءاً على طبيعة التقاليد والرسوم الدبلوماسية في العصور الوسطى يصح في بعض الأحيان – من حيث المبادئ – أن يكون منطلقا للدبلوماسية المعاصرة؛ علاوة على أن هذه النماذج للدبلوماسية العربية الإسلامية في الغرب الإسلامي تعبر بوضوح أمين عن مدى مستوى التمدن الرفيع الذي بلغته حضارتنا العربية الإسلامية في الربوع الأندلسية الجميلة.

كما أرجو أن تكون هذا الدراسة قد حققت الهدف الذي أعدت من أجله وهو تأصيل النظام الدبلوماسي العربي الإسلامي، وكشفت عن عراقة هذا النظام الذي يعد تعبيرا حيا لحيوية الحضارة العربية الإسلامية وقابليتها للتطور على نحو يخدم الإنسانية في كل زمان ومكان.

الهوامـــش

(١) جراندسن، وآخرون، كولينز دكشنري، ١٩٩٧م، جلاسجو، ترجمة د. محمود المقطري، ص٤٤٥.

(٢) الرازي، محمود بن أبي بكر (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م)، مختار الصحاح، بغداد، مكتبة النهضة، ١٩٨٣م. مادة: رسل.

(٣) ابن الأثير، علي بن محمد الجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، اللباب في تهذيب الأنساب، تحقيق: عبدالوهاب النجار، القاهرة، ١٣٥٧هـ، ج١، ص٤٦٧.

(٤) سورة عبسى، الآية ١٦.

(٥) الأشقر، محمد بن سليمان، زبدة التفسير في فتح القدير، وهو مختصر في تفسير الإمام الشوكاني، الكويت، ١٩٨٥م، ص٧٩٢.

(٦) ينظر:

- ابن الفراء، الحسين بن محمد (ت٤٥٨هـ)، رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق صلاح المنجد، القاهرة، ١٩٤٧م، ص١٠، ١٢، ١٥، ٣٤.
- القاسمي، ظافر، الجهاد والحقوق الدولية في الإسلام، بيروت، ١٩٨٢م، ص٤٤٦- ٤٤٧م.
- النووي، محي الدين، (ت٦٧٤هـ/١٣٤٣م)، رياض الصالحين، ط٣، مكة المكرمة، ١٣٩٨هـ، ص٢٩.
- خطاب، محمود شيبت، السفارات النبوية، بغداد، ١٩٨٩م، ص٩، ٥، ٣.
- المقرمي، سفيان عثمان، الجذور التاريخية للدبلوماسية العربية الإسلامية، قبل الإسلام حتى العهد الأموي، الباحث الجامعي، مجلة، العدد السابع، يونيو ٢٠٠٤م، ص١٠٠- ١٠٢م.
- ابن سعد، محمد بن سعد، (ت٢٤٠/٨٥٤)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، بيروت، ١٩٩٠م، ج٤، ص١٨٨.
- المناوي، عبدالرؤوف، مختصر شرح الجامع الصحيح، بيروت، ح١، ص٢٣.
- الشيباني، محمد بن الحسن، شرح السير الكبير، القاهرة، ح٢، ص٤١٧.

(٧) ابن الفراء، مصدر سابق، ص١١- ١٢.

(٨) المصدر نفسه، ص١٥، ٣٤.

(٩) المناوي، مصدر سابق، ص٢٣.

(١٠) ينظر:

- البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز، (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) جغرافية الأندلس وأوروبا، من كتابه "المسالك والممالك" تحقيق عبدالرحمن الحجي، بيروت، ١٩٦٨م، ص٥٩.
- فروخ، عمر، العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر المتوسط، بيروت، ١٩٥٩م، ص٤٣.
- عنان، محمد عبدالله، دولة الإسلام في الأندلس، القاهرة، ١٩٦٠م، ج١، ص١٥، ٥٠.
- الحجي، عبدالرحمن بن علي، أندلسيات، بيروت، ط١، ص١١.

(١١) الحجي، أندلسيات، مصدر سابق، ص١٣.

(١٢) وهو عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك، ويلقب بعبدالرحمن الأول، والداخل، وصقر قريش، والذي أطلق عليه هذا اللقب الأخير هو الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس؛ ينظر: المقرّيْ، نفح الطيب، القاهرة ١٩٤٩م، ح١، ٣٠٩.

ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ح٢، ليدن، ١٩٤٨، ١٩٥١، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، ح٢، ص٥٩.

(١٣) الحجي، اندلسيات، مصدر سابق، ص١٣- ١٥.

- العبادي، أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة، بيروت، د.ت. ص٤٩، ٩٧، ١٦٧، ٢٥٣.

(١٤) الحجي، أندلسيات، مصدر سابق، ص٤٥.

(١٥) ويلقب بالثاني، وهو عبدالرحمن بن الحكم الأول بن هشام الأول ابن عبدالرحمن الأول الملقب بالداخل. أما عبدالرحمن الثالث فهو الملقب الناصر. ينظر: عنان، محمد عبدالله، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، القاهرة، ١٣٨٢، ص٢١٢.

(١٦) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، القاهرة، ط٣، ١٩٦٠، ص٢٧٩.

(١٧) عنان، دولة الإسلام، مصدر سابق، ص٢٧٩؛ شاكر محمود عبدالمنعم، مصدر سابق، ص٣٠.

(١٨) هو يحيى بن حكم البكري، لقب بالغزال لجماله، والذي أطلق عليه هذا اللقب هو الأمير الأموي عبدالرحمن الأوسط حين دخل عليه مرة فقال الأمير: جاءنا الغزال بحسنه وجماله. وكان الغزال فوق ذلك ذكياً عالي الذكاء، ظريفا جميل النكتة، عزيز النفس، حسن التصرف، لاذع التهكم، حاضرالخاطر، ولقب بـ"حكيم الأندلس".

ينظر: المقري، نفح الطيب، مصدر سابق، ح٣، ص٢٣.

- ابن عذاري، البيان المغرب، مصدر سابق، ح٢، ص٩٣.
- أحمد أمين، ظهر الإسلام، القاهرة، ١٩٦٢م، ح٤، ص١٠٦- ١٠٩.
- الحجي، اندلسيات، مصدر سابق، ص٧١- ٧٢.
- العبادي، مصدر سابق، ص١٤٣.

(١٩) ورد نص هذا الكتاب وتفاصيل هذه السفارة في مخطوط لابن حيان، ص١٦١- ١٦٣، ونشر الأستاذ ليفي بروفنسال قصة هذه السفارة باللغة الفرنسية ومعها نص الكتاب باللغة العربية في المجلد الثاني عشر من مجموعة **Byzantian** التي تصدر في بروكسل.

وأشار المقري في كتابه نفح الطيب، ح١، ص١٦٢، إلى هذه السفارة.

ينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مصدر سابق، ح١، ص٢٨٠.

- شاكر محمود عبدالمنعم، مصدر سابق، ص٣١.
- العبادي، مصدر سابق، ص١٤٣.

(٢٠) ينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ح١، ص٢٨٠.

- الحجي، أندلسيات، ص٦٥- ٦٧.
- الألوسي، جمال الدين، الدبلوماسية عند المسلمين العرب، بغداد، ١٩٧٩م، ص٢٥.
- شاكر محمود عبدالمنعم، مصدر سابق، ص٣٢.

(٢١) لمؤلفه: ابي الخطاب عمر بن الحسين بن دحية الكلبي (ت٦٣٣/١٢٣٥م)، تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرون، القاهرة، ١٩٥٤م.

ينظر:
- عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ص٢٨١.
- الحجي، أندلسيات، ص٦٦.
- شاكر محمود، مصدر سابق، ص٣٣.

(٢٢) وتسميهم المصادر الأندلسية "المجوس" أو "الأردمانيون" وهم غير المجوس عبدة النار في بلاد فارس المعروفين بـ"الزرادشت". الحجي، اندلسيات، ص٦٦.

(٢٣) ينظر: أحمد أمين، ظهر الإسلام، ح٤، ص١٠٦- ١١١.

- الحجي، اندلسيات، ص٦٩- ٧٠.

(٢٤) الحجي: اندلسيات، ص٧٠- ٧١.

- الألوسي، الدبلوماسية عند المسلمين العرب، ص٣٦.

(٢٥) الحجي، اندلسيات، ص٧١.

- شاكر محمود، ص٣٤.

(٢٦) الألوسي، الدبلوماسية عند المسلمين العرب، ص٣٧.

(٢٧) أحمد أمين، ظهر الإسلام، ص١٠٩- ١١٠.

(٢٨) المقري، نفح الطيب، مصدر سابق، ح١، ص٣٤٣.

(٢٩) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا، مصدر سابق، ص١٧٠؛ الحجي، اندلسيات، ص٤٧؛ شاكر محمود، مصدر سابق، ص٣٦.

(٣٠) عنان، محمد عبدالله، سفارة ألمانية إلى بلاط قرطبة في عهد عبدالرحمن الناصر، المجلة المصرية، ١٩٣٨م.

- ارسلان، شكيب، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسوسيرا وإيطاليا جزائر البحر المتوسط، ط١، ص١٧٧.

- الحجي، اندلسيات، ص٤٩.

- طه الولي، الإسلام والمسلمون في ألمانيا بين الأمس واليوم، بيروت، ط١، ١٩٦٦، ص١٥٥- ١٥٩.

(٣١) الحجي، اندلسيات، ص٤٨- ٤٩؛ شاكر محمود، مصدر سابق، ص٣٧.

(٣٢) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٠٢؛ عنان، دولة الإسلام، مصدر سابق، ح٢، ص٤١٥- ٤١٦.

(٣٣) عنان، المصدر نفسه، ص٤١٦؛ شاكر محمود، مصدر سابق، ص٣٧.

(٣٤) تمثلت هذه الاحتفالية من خلال اتخاذ الاستعدادات وإقامة الزينات، وإصطفاف الجند بمراتبهم المختلفة، وأسلحتهم المتنوعة على جانبي الطريق، والقيام بعروض الفروسية، وإظهار معالم الزينة، وخروج الناس ليشهدوا الاحتفال. وهي مراسيم استقبال مازالت تقوم بها الدول في وقتنا الحاضر، وفقا للتقاليد الخاصة بكل دولة.

(٣٥) ينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مصدر سابق، ح٢، ص٤١٦.

(٣٦) وقد ذكر ابن حيان القرطبي أن الحكم المستنصر (٣٥٠- ٩٦١/٣٦٦- ٩٧٦) عين كلا من أحمد بن عمروس وشخص اسمه سعيد سفيرين دائمين لدى مملكة ليون **Leon** وهي جليقية **Calicia**، ينظر: الحجي، اندلسيات، مصدر سابق، ص٤٤، وقد أشار إلى مخطوط في الأكاديمية التاريخية في مدريد "مجموعة كوديرا" بعنوان: المقتبس في أخبار الأندلس، وقد نشر في بيروت عام ١٩٦٥م، ص٧٦- ١٤٧؛ شاكر محمود عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ الدبلوماسية العربية الإسلامية، بغداد، معهد التاريخ، ١٩٩٨م، ص٢٩.

(٣٧) عنان، دولة الإسلام ف يالأندلسي، ح٢، ص٤١٧؛ شاكر محمود، مصدر سابق، ص٣٨.

(٣٨) الحجي، اندلسيات، مصدر سابق، ص٥٩- ٦٠؛ شاكر محمود، مصدر سابق، ص٣٨.

(٣٩) هو إسماعيل بن القاسم البغدادي، رحل من بغداد إلى الأندلس سنة ٣٣٠/٩٤١. ينظر: الحجي، اندلسيات، مصدر سابق، ص٦١- ٦٢.

(٤٠) ينظر: نص هذه الخطبة المرتجلة والأشعار التي قالها كاملة في كتاب: اندلسيات، لعبدالرحمن الحجي، ص٦٢- ٦٤.

(٤١) ينظر تفاصيل هذه العلاقات في كتاب: علاقات المرابطين بالممالك الأسبانية، لمؤلفه: السامرائي، خليل إبراهيم، بغداد، ١٩٨٠م، ص٤٦- ٩٠؛ عويس، عبدالحليم، دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية، دار الصحوة، دار الوفاء، ط٣، ١٩٨٩م، ص٢٢، ٢٩، ٣٤، ٣٩، ٤٩.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن الأثير، علي بن محمد الجرزي (ت٦٣٠/١٢٣٢) اللباب في تهذيب الأنساب، تحقيق عبدالوهاب النجار، القاهرة، ١٣٥٧هـ.
- ابن دحية الكلبي، ابي الخطاب عمر بن الحسين (٦٣٣/١٢٣٥م)، المطرب من أشعار أهل المعرب، تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرون، القاهرة ١٩٥٤م.
- ابن سعد، محمد بن سعد (ت٢٤٠/٨٥٤)، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، بيروت، ١٩٩٠م.
- ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ليدن، ١٩٤٨م، تحقيق كولان وليفي بروفنسال.
- ابن الفراء، الحسين بن محمد (ت٤٥٨هـ)، رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق صلاح المنجد، القاهرة، ١٩٤٧م.
- البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز (ت٤٨٧/١٠٩٤م)، جغرافية الأندلس وأوروبا، من كتابه المسالك والممالك، تحقيق عبدالرحمن الحجي، بيروت ١٩٦٨م.
- الرازي، محمد بن أبي بكر (ت٦٦٠/١٢٦١م)، مختار الصحاح، بغداد، ١٩٨٣م.
- الأشقر، محمد بن سليمان، زبدة التفسير في فتح القدير، وهو مختصر في تفسير الإمام الشوكاني، الكويت، ١٩٨٥م.
- الشيباني، محمد بن الحسن، شرح السير الكبير، القاهرة، د.ت.
- المقرّي، نفح الطيب، القاهرة، ١٩٤٩م.
- المناوي، عبدالرؤوف، مختصر شرح الجامع الصحيح، بيروت، د.ت.
- النووي، محي الدين (ت٧٤٤/١٤٣٤م) رياض الصالحين، ط٣، مكة المكرمة، ١٩٣٨م.

- أحمد أمين، ظهر الإسلام، القاهرة، ١٩٦٢م، المجلد ٤.
- أرسلان، شكيب، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، بيروت، ١٩٦٦م.
- جراندسن وآخرون، كولينز دكشنري، ١٩٩٧م، جلاسجو، ترجمة د. محمود المقطري.
- الحجي، عبدالرحمن بن علي، أندلسيات، بيروت، ط١، ١٩٦٩م.
- خطاب، محمود شيت، السفارات النبوية، بغداد، ١٩٨٩م.
- السامرائي، خليل إبراهيم، علاقة المرابطين بالممالك الأسبانية، بغداد، ١٩٨٠م.
- شاكر محمود عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ الدبلوماسية العربية الإسلامية، بغداد، معهد التاريخ، ١٩٩٨م.
- طه الولي، الإسلام والمسلمون في ألمانيا بين الأمس واليوم، بيروت، ١٩٦٦م.
- العبادي، أحمد مختار، في تاريخ المغرب والاندلس، بيروت، د.ت.
- العطار، عدنان، الأطلس التاريخي للعالمين العربي والإسلامي، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٧٩م.
- العقيلي، محمد رشيد، السفارات النبوية إلى ملوك العالم وأمراء أطراف الجزيرة العربية، بيروت، ١٩٨٦م.
- عنان، محمد عبدالله، دولة الإسلام في الأندلس، القاهرة، ١٩٦٠م.
- مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، القاهرة، ١٩٨٢م.
- عويس، عبدالحليم، دراسة لسقوط ثلاثين دولة اسلامية، دار الوفاء، ١٩٨٩م.
- الألوسي، جمال الدين، الدبلوماسية عند المسلمين العرب، بغداد، ١٩٧٩م.
- فاروق عمر، العباسيون الأوائل، ١٩٨٢م.
- بحوث في التاريخ العباسي، بغداد، ١٩٧٧م.
- فروخ، عمر، العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر المتوسط، بيروت، ١٩٥٩م.
- القاسمي، ظافر، الجهاد والحقوق الدولية في الإسلام، بيروت، ١٩٨٢م.

الدوريات:

- عنان، محمد عبدالله "سفارة ألمانية إلى بلاط قرطبة في عهد عبد الرحمن الناصر" المجلة المصرية، ١٩٣٨م.
- المقرمي، سفيان عثمان "الجذور التاريخية للدبلوماسية العربية الإسلامية" الباحث الجامعي، مجلة، العدد السابع، يونيو ٢٠٠٤م. جامعة إب.